خطبة صلاة الجمعة 18/ 6/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(في العجلة الندامة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة التاسعة عشرة في سلسلة عنوانها (**توعية**)، أعرض لكم في السلسلة صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **في العجلة الندامة.**

العجلة طلب الشيء قبل أوانه، وهي مذمومة إلا في الخير، وفي وصف الإنسان الخام قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37] ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11]، فالإنسان الخام بطبعه الاستعجال، ولكن من هذّبه الإيمان وكبح جماح هواه العقل تراه يتأنى ويتروى ويعطي لكل كتاب أجله.

تخرج زيد في كلية طب الأسنان ودفع والده ما دفع ليؤسس له عيادة مقبولة، وبدأ زيد عمله بهمة ونشاط متوقعاً إقبال الناس عليه وسعيهم إليه، لكنه تفاجأ أن مرضاه خمسةٌ من أقاربه وثلاثةٌ من أصحابه تمت معالجتهم وحسم لهم استطاعته، ولم يدخل العيادة بعدهم أحد ستة أشهر إلا من فحص أسنانه واستطلع التكاليف عنده ومضى ولم يرجع.

تعب زيد من الانتظار، وملّ من الترقب، وآلمه أنّ عيادته لم تعمل كعيادة أساتذته في الجامعة، وأن دفتر مواعيده لم يمتلئ كما امتلأ دفترُ مواعيد بعض من يعرفهم من الأطباء، فقرر أن يؤجر العيادة ويسافر.

نقول لزيد: اصبر ولا تستعجل، فعاقبة الصبر حسنة وفي العجلة الندامة.

تزوجت وداد قبل أربعة أشهر شاباً رأت وأهلها أنه خيّر وذو تربية صالحة ورتبة علمية عالية، مرّ شهرهما الأول بسلام مع إغضاء كلٍّ منهما عن صاحبه شيئاً، ولكن مع مطلع الشهر الثاني بدأت الاختلافات تظهر، يزعجه تأخرُ استيقاظها ويزعجها مواجهتُها بذلك، يُمِلُّها طولُ غيابه في عمله ويستغرب عدم تقديرها لطبيعة عمله، تلومه على قلة الكلام معها ويعاتبها على تكرار خروجها من البيت لزيارة أهلها أو قريباتها، بادرها بكلمة قاسية وقابلته بجَرَدٍ داخل البيت.

أمس جاءت بيت أهلها باكيةً تريد من أبيها أن يطلب من زوجها طلاقها؛ لأنها تعبت ونفد صبرها!

نقول للأخت وداد: اصبري ولا تستعجلي، فعاقبة الصبر حسنة وفي العجلة الندامة.

استلم عمرو ذو الثلاثين عاماً إمامة مسجد في طرف المدينة، وبين جنبيه همة عالية للدعوة إلى الله تعالى، فقد نشأ عند شيخ فاضل امتلأ برنامجه ومسجده بدورات القرآن والحديث والفقه والذكر وفنون الدعوة.

أراد عمرو أن يسير بسير شيخه فتحصّل على موافقات إدارية لعقد دورة قرآن يوم السبت ودورة حديث يوم الأحد ودورة عقيدة يوم الاثنين وهكذا لسائر أيام الأسبوع السبعة، لكنه تفاجأ بعدم إقبال الناس وعدم اهتمامهم إلا النزر اليسير، فأوقف الدورة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة وكاد أن يصيبه القنوط والإحباط، وفكر أن يترك الإمامة مع نهاية العام.

نقول لعمرو: اصبر ولا تستعجل، فعاقبة الصبر حسنة وفي العجلة الندامة.

أيها الإخوة:

ضعف أوائل الأشياء سنة الله في أرضه، ومن صبر على الأول الضعيف نال الآخر القوي ومن استعجل ذهب بالأول والآخر، وقديماً قالت العرب: أول الشجرة النواة، وأول الغيث رشّ ثم ينسكب.

وفي القرآن الكريم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: 54].

ونظموها شعراً فقالوا:

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو ضعيفا ضئيلا ثم يتسق

فمن الفطنة والتعقل أن يصبر شاب على عمله الجديد ويتأنى كما صبر من سبقه وتأنى، لينال مثل الذي نالوا، وإن الشاب الذي يرى تاجراً ستينياً يركب أحسن السيارات ويسكن أفضل المنازل ويظهر في سوقه بأبهى مظهر وأكملِه فيريد أن يقلده جانب الصواب والفطنة، فما وصل التاجر إلى ما وصل إليه إلا بعد صبر طويل وعناء كبير، ولئن كنت ترى العاقبة المشرقة فلا تنس ذكر البداية المحرقة، ومن أراد أن تكون هذه عاقبتَه فلتكن تلك بدايتَه.

ومن الفطنة والتعقل أن يصبر داعيةٌ على دعوته سنين طويلة مع الإخلاص والإتقان ليكرمه الله بالفتح والعطاء كما صبر من سبقوه في هذا الدرب، وإني لأذكر أن شيخنا الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله كان يحدثنا يوم كان المسجد يغصّ بالحاضرين في درسه يقول: إن هذا الجمع من بركات إخلاص والدي الشيخ أمين وصبره، إذ كان يدرس لسنتين ولا يحضر في درسه إلا رجل أعمى، والشيخ مواظب على حضور الدرس والتحضير له، ثم تتابع قدوم الناس.

ومن الفطنة والتعقل أن تتروى فتاة ولا تتعجل الطلاق بعد أربعة أشهر، ولا بعد أربعة أعوام، وقل مثل ذلك للشاب، فالمستعجل على طرف الخطأ، وقد صبرت الأمهات والآباء دهراً حتى ربين وربوا أمثالها وأمثالَ زوجها.

اتصل بي مرة على برنامج إذاعي كان يذاع على الهواء مباشرة رجل ستيني، ظهر ذلك من صوته، ليقول: إنه شديد الأخلاق صعب المراس ولكن زوجته صبرت عليه ثلاثين سنة إلى أن صار لين الجانب سهل الخلق، يقول: إن كل خير يعمله اليوم ففي صحيفة زوجته وببركة صبرها وعدم تعجلها.

وهكذا التأني في سائر الأمور حسن، والصبر على أوائل الأمور فضيلة، والاستعجال حسرة وندامة.

أيها الإخوة:

(من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه).

فلو استعجل غارس فسيلةِ الزيتون الحصاد أو استعجل غارس فسيلةِ التين المحصول أو استعجل المزارع الثمار لما أكلنا زيتوناً ولا تيناً ولا ثمرا، ولعوقبنا بالحرمان.

وأنتم تعلمون أن التين يحمل بعد أربع سنين وأن الزيتون يحمل بعد عشر سنين!

فمن أراد سعة في الرزق فليتأنَّ ولا يستعجل

ومن أراد فتحاً في الذكر فليتأنَّ ولا يستعجل

ومن أراد حفظاً للقرآن فليتأنَّ ولا يستعجل

ومن أراد حسن تربية أولاده فليتأنَّ ولا يستعجل

ومن أراد وفاقاً مع زوجه فليتأنَّ ولا يستعجل

ففي العجلة ندامة وفي التأني السلامة.

جاء في كتاب كليلة ودمنة وهو كتاب قصص تحوي حكماً جاءت على لسان الحيوانات، كتبه فيلسوف هندي وترجمه ابن المقفع:

(قال الفيلسوف: زعموا أن امرأة ولدت غلاماً جميلاً ففرح به أبوه، وبعد أيام قالت المرأة لزوجها: اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود.

وانطلقت إلى الحمام، وخلفت زوجها والغلام، فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يَخْلُفُه عند ابنه غيرَ ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيرا، فهو عنده عديل ولده. فتركه الرجل عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول.

فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها، ثم جاء الرجل وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية.

فلما رآه ملوثاً بالدم وهو مذعور طار عقله وظن أنه قد خنق ولده ولم يتثبت في أمره ولم يترو فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما يظن من ذلك، ولكن عجِل ابنَ عرس وضربه بعكازة كانت في يده على أم رأسه فمات، ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً وعنده أسود مقطع.

فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه، ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له: ما شأنك فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له فقالت: هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لا يتثبت في أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة).

أيها الإخوة:

قد يدركُ المتأنّي بعضَ حاجتِه وقد يكون مع المستعجلِ الزللُ

من تأنى نال ما تمنى، وإياكم واستعجال الأمور، فالعجلة تكنّى أم الندامة، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا إلا صحب الندامة وجانب السلامة.

ختاماً: كيف أتعلم التأني والتروي وأترك الاستعجال:

1- بالنظر في عواقب الأمور، ومقايسة محاسنها ومثالبها.

2- بصحبة أهل التأني وهجر أهل الطيش والعجلة.

3- بكثرة ذكر الله.

والحمد لله رب العالمين